الثورة الموريسكية (١٤٩٩ - ١٥٠١)
بداية النهاية للوجود العربي الإسلامي في الأندلس

عُمر بكر محمد قطب

مدرس مساعد التاريخ الإسلامي
قسم التاريخ – كلية الآداب
جامعة المنيا– جمهورية مصر العربية

الاستشهاد المرجعي بالمقال:

عُمر بكر محمد قطب، الثورة الموريسكية (١٤٩٩ – ١٥٠١): بداية النهاية للوجود العربي الإسلامي في الأندلس.- دورية كان التاريخية.- العدد الثاني والعشرون؛ ديسمبر ٢٠١٣. ص ٨٤ – ٩١.

www.kanhistorique.org ISSN: 2090 - 0449

كان التاريخية: رقمية الموطن .. عربية الهوية .. عالمية الأداء

مُلَخص

كان سقوط غرناطة الإسلامية في يد الأسبان سنة ١٤٩٢م نهاية للوجود السياسي الإسلامي وحكمه لبلاد الأندلس لفترة تمتد أكثر من ثماني قرون، ولكن الأسبان لم يكتفوا بالاستيلاء على البلاد بل عملوا على توحيد الملة النصرانية على جميع مَنْ بداخل هذه الأراضي الجديدة تحت عهد الملكين الجديدين، أي ما يعنى بداية تنصير جميع العناصر الموجودة داخل هذه المملكة الحديثة السقوط تحت نفوذهما، إن سياسة التنصير التي بدأها الملكان فرناندو وإيزابيلا بعد سقوط غرناطة ١٤٩٢م كانت أول الطريق إلى تذمر الموريسكيين -العرب الذين بقوا في الأندلس بعد انتهاء الحكم الإسلامي منها- وثورتهم الأولى نظرًا لما عانوه من جور الحكام الأسبان وديوان التفتيش الذي بدأ مهامه بعد الثورة، ولكن كانت جذوره في رجاله الذين كانوا يؤمنون بمبادئه القاسية حتى قبل ظهوره، وأفعالهم التي دفعت الموريسكيين إلى الثورة من قبيل الدفاع عن الوجود والعقيدة والقومية، وفي هذا المقال سيتم التطرق إلى أسباب الثورة الموريسكية هذه الثورة التي دفعت أصحابها إلى ضرورة القيام بها، بالإضافة إلى سرد أحداثها ونتائجها.

مُقدِّمَة

لم تكن الحركات الموريسكية التي ظهرت ضد الحكم الأسباني في بداية عهده إلا دليلاً واضحًا على عدم تقبل الموريسكيين لهذا النوع من الوجود السياسي الذي يرغب في تطهير كل ما يُنسب إليهم من دين وعادات وحضارة امتدت عبر مئات السنين، لذا جاء هذا المقال ليوضح الدور الذي قام به الموريسكيين ضد أساليب الأسبان كرد فعل موازي وقوي لكل محاولات القضاء على الهوية العربية الإسلامية للموريسكيين أحفاد الحضارة الأندلسية في أوج عصورها، وكيف استطاع هؤلاء على الرغم من قدراتهم الضئيلة، وعتادهم القليل أن يقفوا ضد العدوان الأسباني حتى ولو كانت حياتهم ثمنًا لهذا الدفاع عن وجودهم. لذا كان الهدف الأساس من هذا المقال هو التعرف على الأحوال السياسية التي سادت أسبانيا في الفترة التاريخية الممتدة من ١٤٩٩م إلى سنة ١٥٠١م، وهي الفترة التي شهدت انفجار الغضب الموريسكي المتراكم منذ سقوط الأندلس ١٤٩٢م وحتى قيام هذه الثورة كنتيجة أولى لسياسة الأسبان الجائرة.

أولاً: أسباب قيام الثورة الموريسكية الأولى

(١) أسباب دينية (سياسة التنصير الأسبانية).
(٢) أسباب نفسية واقتصادية.
(٣) أسباب مباشرة للثورة.

دورية إلكترونية .مُحكّمة .ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

(١) أسباب دينية: (سياسة التنصير الأسبانية)

أنهى الملكان إيزابيلا وفرناندو عملية استسلام مدينة غرناطة واحتلالها ورحلا إلى أشبيلية بعدما تركا ثلاثة من الشخصيات على الجهاز الإداري والديني للمدينة وهم: أولهم "الكونت تنديله "الحاكم العسكري لمدينة غرناطة، ويليه "فرناندو دى زفرة "حاكم المدينة"، والأخير هو "هرناندو دى طلبيرة" رئيس أساقفة غرناطة، وقد أوحى وجود هؤلاء الثلاثة منذ الوهلة الأولى إلى بدء مرحلة جديدة اسبانية ذات سياسة خاصة.(١)

ويكفى أن نتنبأ بشكل هذه المرحلة عندما نعطى ترجمة لاثنين منهم بسبب دورهما المؤثر في الأحداث التالية وهما :"الكونت تنديلة" الحاكم العسكري وهو ذلك القائد المحنك الذي ظهر دوره البارز عندما وضعه فرناندو في الحرب على غرناطة قبل أن تسقط في أيدي الأسبان، ولاه حصن "الحمى" مع بداية الحرب، فاستطاع هذا القائد أن يحرز بعض الانتصارات في موقعه على المسلمين واستطاع أن يضع يده على مدينة "لاريلا" والتي تبعد أربعة وعشرون ميلاً عن مدينة غرناطة "فكان له دورًا كبيرًا في سقوط المدينة مما جعل فرناندو يوليه الحكم العسكري للمدينة بعد سقوطها".(٢) أما عن الرجل الثاني "هرناندو دى طلبيرة"، رئيس أساقفة غرناطة، فقد ظهر دوره في سياسة التنصير التي سعى بشكل كبير إلى تطبيقها، فقد كان قبل تعيينه رئيسًا لأساقفة غرناطة الكاهن الخاص لملكة إيزابيلا، وقد حل محله في الوظيفة الأولى "الكاردينال خمنيس" رجل العصر الأسباني في محاولة تنصير المسلمين، وقد ظهر التعارض بين الشخصان في تلك السياسة برغم وحدة الهدف، فنجد طلبيرة يحاول قدر الإمكان أن يحافظ على شروط معاهدة التسليم، وظهرت نظريته في إمكانية تنصير المسلمين عن طريق الإقناع وسلك أساليب بعيدة عن العنف في سبيل تحقيق السياسة التنصيرية، وقد اتسمت شخصية طلبيرة نفسها بالحلم والعدل وعدم استخدام العنف مع الموريسكيين، حتى أنه تعلم العربية وكان يصلي بها، ولكن اصطدم بالكاردينال خمنيس الذي رفع لواء العنف ضد الموريسكيين.(٣)

ولم تكن سياسة طلبيرة تجاه المسلمين وليدة هذه الفترة، فقد ظهرت هذه السياسة التسامحية من جانبه تجاه أهل غرناطة منذ وضع الأسبان شروطهم في معاهدة تسليم غرناطة، عندما طالبهم بوضع شروط تحسن معاملة الغرناطيين، وأن يجعل شروطهم ذات سهولة حتى يقبلوا المسيحية بعد استسلام المدينة، وعندها قال كلمته الشهيرة "هؤلاء أولاد يجب أن نغذيهم باللبن"،(٤) ولكن سياسته هذه عارضتها الملكة إيزابيلا أيضًا والتي وقعت تحت مشكلة بالنسبة لتصرفها تجاه الموريسكيين، فهي من ناحية لا تريد أن تقوم بعمل ضد أهل غرناطة فتخترق معاهدة التسليم فيعيرها ملوك أوربا بأنها لا تلتزم بعهودها، ومن ناحية أخرى إذا قبلت سياسة طلبيرة فإن هذه السياسة لا فائدة منها فهي تملك غرناطة، ولا تملك أهلها، ولذلك لم يكن من اليسير عليها تقبل هذا الوضع الذي يقابله تعصب يملئ شخصها، وخاصةً وأن لقبها أصبح منذ سنة ١٤٩٤م "الملكة الكاثوليكية إيزابيلا،* ولكن التعصب غلب على كونها ملكة فقررت تعيين رجلاً يحقق لها ما تريده من تنصير المسلمين وتعميدهم.(٥)

ولكن قبل أن ندخل في سياسة التنصير التي طبقها الكاردينال، يمكن أن نعطى بعض الدوافع التي أدت إلى إتباع هذه السياسة، أو بشكل عام أهم أسباب التعصب الديني الأسباني تجاه الموريسكيين والتي لخصها المؤرخ مونتغمرى وات في النقاط التالية:

(١) سياسة التسامح التي اتبعها الملكان لم تأتى بالنتيجة المثمرة المرجوة منها، ألا وهي محاولة دمج أتباع الديانات المختلفة في بوتقة واحدة ذات ثوب اسباني تحت لوائهما، ولكن ذلك استحال بوضوح خاصةً مع مطالب السياسة بضرورة وحدة الاعتقاد، أو بمعنى أدق الجميع يصبحون نصارى.

(٢) كانت اسبانيا تسعى نحو النمو على الساحة الأوربية والدخول في صراعه، ذلك الصراع الذي ظهر فيه الأتراك بقوة حتى استطاعوا محاصرة فيينا في ١٥٢٥م، ومن البديهي أن يعيق هذا النفوذ التركي محاولة بناء الإمبراطورية الاسبانية والتي بدورها تحاول الحفاظ من جهة أخرى على نفوذها في العالم الجديد وتثبيت نفوذها هناك، كل ذلك دفع اسبانيا إلى ضرورة إزالة جميع القوى المعادية لها وبشكل خاص من هم داخل اسبانيا من اليهود والمسلمين.

(٣) وجد الأسبان في الموريسكيين خطرًا اجتماعيًا كبيرًا من خلال زيادة معدل المواليد عند الموريسكيين بشكل كبير، ليس ذلك فحسب، بل ظهر الدور الموريسكى البارز في مجالات الحياة الاسبانية الاجتماعية والاقتصادية، حتى أن نبلاء أسبانيا أنفسهم وقفوا بجانبهم وساندوهم، كل ذلك دفع ملوك أسبانيا إلى ضرورة التخلص من هذه السيطرة الموريسكية على حياتهم وزادت من أهمية هذه الضرورة ما يكنه الملوك أنفسهم من حقد تجاه المسلمين.(٦)

بدأ الكاردينال خمنيس في إتباع سياسته بالعنف والقوة، ويحالفه محاكم التفتيش والتي لم تكن قد ظهرت في غرناطة بعد، ولكنها كانت في قرطبة تعمل من أجل الحفاظ على الدين والكثلكة كما تزعم في مبادئها، وقام خمنيس بوضع برنامج خاص في سياسته التي بدأ في تطبيقها بالقوة.(٧) وقد كانت الخطوط العامة لهذا البرنامج يتشابه مع تلك الخطوات التي اتبعتها اسبانيا في تنصير الهنود الحمر بعد سيطرة نفوذها على العالم الجديد (الأمريكتين)، وقد سار هذا البرنامج على مبدأ الاضطهاد والعنف، وأنشئت محاكم التفتيش في غرناطة فيما بعد لتنفيذ بنود هذا البرنامج والتي تلخصت مبادئه في كيفية التنصير بكل الطرق والوسائل الموجودة والمتاحة، ولكن سنجد أن الموريسكيين يقاومون هذا البرنامج بفضل تماسكهم وترابطهم في كل أنحاء أقاليم غرناطة وغيرها من الأقاليم الأخرى، وقد تمت إجراءات هذا البرنامج على ثلاث مراحل

دورية إلكترونية .مُحكّمة .ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

هي، أولاً: محاولة تنصير مسلمي غرناطة ومملكة قشتالة، ثم يليها مرحلة تنصير مسلمي مملكة نابارا، وثالثها تنصير مسلمي مملكة أرغون، وكان هذا البرنامج التنصيرى الذي وضعه الأسبان يعنى إلغاء جميع الحقوق القانونية للمسلمين الذين داخل أراضى أسبانيا حتى يصبحوا نصارى لهم نفس الحقوق والواجبات التي تنطبق على النصارى الأسبان.[٨]

حاول خمنيس أن يحقق بعض المكاسب على حساب مسلمي أهل حي البيازين (Albaicin) الذي توجه إليهم بشكل خاص لما علم عنهم من القوة والرغبة في الثورة، واستطاع أن يحول مسجد الحي لكنيسة عُرفت بكنيسة "سان سلبادور"، مما دعا أكابر الحي إلى الاستياء من أعماله وبدأ التفكير المبدئي في المقاومة، ولم يكتفي الكاردينال بهذا، بل قام بفعل شيء لا يوصف بأنه حضاري أو أخلاقي على حد ما وصفه المؤرخون عندما قام بجمع كل ما يُستطاع جمعه من الكتب العربية التي يمتلكها الموريسكيين في مدينة غرناطة وأرباضها وأحيائها، وقام بتنظيمها أكداسًا وسط ميدان الرملة* وقام بحرقها، ولم يستثنى من ذلك الحريق المصاحف البديعة الزخرفة وآلاف الكتب في الأدب والعلوم والفنون، بل استثنى منها ٣٠٠ كتاب من كتب الطب، وراح ضحية فعلته التراث الإسلامي في الأندلس.[٩]

وبالرغم من هذا العنف الذي سلكه الأسبان تجاه الموريسكيين، إلا أنهم اتبعوا في سبيل تحقيق هدفهم أساليب أخرى مثل الإغراء، ويظهر ذلك عندما أصدر الملكان الكاثوليكيان عدة مراسيم منها مرسوم يوليه ١٥٠٠م والذي أعفى فيه أهالي وادي "لانخرون، والبشرات، والكرين"، وهم أرباض في مدينة غرناطة من جميع الحقوق والتعهدات المفروضة عليهم لصالح العرش، ومرسوم آخر في سبتمبر ١٥٠٠م إلى مسلمي "بسطة" يحررهم من الفروض التي عليهم واحترام عقودهم المكتوبة باللغة العربية ومعاملتهم مثل النصارى، ومرسوم مشابه لسكان حي المسلمين الذي كان يطلق عليه (Morreria) في غرناطة والقرى الملحقة به، وشمل هذا الرسوم براءات مشابهة لما سبق، ولكن كل ذلك برغم نجاحه الضئيل، إلا أنه لم يأتي بالنتيجة التي ينتظرها خمنيس وسيداه، ذلك الأمر الذي دعا جميعهم إلى اتخاذ تدابير أكثر قسوة وخشونة مع الموريسكيين.[١٠]

والجدير بالذكر؛ أنه عندما أقدم خمنيس على خطوته في تنصير المسلمين قد أطاح بمعاهدة التسليم بشكل عام، ولكن بشكل خاص قد انتهك البند رقم (٣٩) من معاهدة التسليم حسب الوثيقة المعلنة لها، وقد جاء في هذا البند "أن يعامل الحكام والقواد والقضاة الذين يعينهم صاحب السمو على مدينة غرناطة البيازين والكور التابعة لهما بالحسنى، وأن يحافظوا على امتيازاتهم الممنوحة لهم في المعاهدة، وإذا أخل أحدهم بذلك يصدر صاحبا السمو أوامرهما بمعاقبته على قدر جرمه وعزله من منصبه وتولية غيره ممَنْ يحسن معاملة المسلمين". وهكذا أطاح خمنيس بهذا البند ولم يحرك الملكان أي ساكنًا كدليل على التواطؤ مع فعلته، وكل ذلك يوضح أن الأسبان لم يلتزموا بعهودهم مع الأمة المغلوبة في الأندلس.[١١] ورغم كل التدابير التي اتخذها الكاردينال خمنيس في سياسته التنصيرية، ومحاولة دمج المسلمين إلى النصرانية، إلا أن هذه التدابير كانت دون جدوى وبلا فائدة، ويتضح فشل السياسة الاسبانية من خلال خطبة أسبانية ألقاها أحد الأسبان وتخص القضية الموريسكية حينما قال "نسعى لتنصير الملحدين في اليابان، والصين، وأماكن بعيدة جدًا، وعلى الرغم من أن هذا يعتبر عملاً مقدسًا، إلا أنه يبدو كما لو أن رجلاً له بيتًا مليئًا بالأفاعي، ولكنه لا يهتم بتطهيره منها معرضًا امرأته وأبنائه للخطر، حيث يتركهم هكذا كي يخرج لصيد الأسود والنعام في أفريقيا"، وتدل هذه الخطبة على عجز الأسبان في تطبيق سياستهم على الموريسكيين وهم بداخل أراضيهم بالرغم من أنهم يسعون لتنصير مَنْ هم بعيدون عنهم.[١٢]

ويرجع سبب هذا الفشل في سياسة التنصير التي اتبعها خمنيس والأسبان إلى عيوب في طرق التعميد والإجبار على التنصر، ومن هذه العيوب:

- بالرغم من أن بعض المسلمين أظهروا النصرانية وأخفوا إسلامهم، إلا أن ذلك وضح جليًا واتضح حالهم، وذلك بسبب جهلهم بالمسيحية، ذلك الأمر الذي ظهر سريعًا نتيجة عدم تقبلهم للدين الجديد، ولأن الدين المسيحي ينص على ضرورة تعليم الدين المسيحي قبل عملية التعميد، إلا أن الموريسكيين كانوا يتنصرون ظاهريًا، ثم يتم تعليمهم فلم يظهر عليهم المظهر المسيحي المتقبل للدين، وخاصةً أنه تم تعميدهم بطرق إجبارية.
- جهل القساوسة ورجال الدين الأسبان باللغة العربية ولا يستطيعون التحدث بها حتى يتم إقناع المسلمين بالنصرانية، بل كان أكثرهم يتحدث القشتالية والأرجونية والقطالونية، ورغم أن بعضهم كان من أصل موريسكى إلا أنهم لم يجيدوا لغة الموريسكيين العربية، وبالتالي لم تنجح محاولات القساوسة في خطتهم وعملهم برغم محاولات بعضهم في تعلم اللغة العربية والتدريب على إتقانها، إلا أن هذه المحاولات باءت بالفشل.[١٣]

(٢) أسباب نفسية واقتصادية لقيام ثورة الموريسكيين الأولى:

أما من **الأسباب النفسية** التي دفعت الموريسكيين إلى الثورة وقيام الأسبان بهذا الأسلوب العنيف تجاه الموريسكيين فمنها شهرة الموريسكيين أنفسهم وتفوقهم، وكثرة نسلهم، وزواج بعض الأسبان أنفسهم من موريسكيات، بجانب تعاون الموريسكيين مع أعداء أسبانيا، كل ذلك أثار حفيظة الأسبان ذاتهم وجعل إحساسهم بالخطر الموريسكى يعلو ويدفعهم بذلك إلى محاربتهم حربًا لا هوادة فيها وذلك من جهة،[١٤] أما من جهة أخرى فقد كان الصدام والتعارض بين الاعتبارين هو أساس المشكلة بين الموريسكيين والأسبان، ذلك الصدام الذي تجسد في اعتبار النصارى عنصر

دورية إلكترونية .مُحكّمة .ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

إيماني ولكن يفتقد إلى العمل، بينما يمكن اعتبار الموريسكيين عنصر عامل ونشيط قوى ولكن لا يلبس ثوب الإيمان الذي يريده النصارى لهم، لذلك فشل التنسيق بين الطرفين وأصبحت حدود التصادم والعنف بينهما شيء حتمي لا شك فيه.[١٥] وبجانب ذلك فقد اعتبر المسيحيون أن الموريسكيين مسيحيون غير متدينين، بينما كان الموريسكيين يعتبرون أنفسهم مسلمين بقلوبهم ولا تربطهم بالعقيدة المسيحية إلا الشكل الخارجي، وأن ما دفعهم إلى ذلك هو محاولة الحياة في ذلك المجتمع الذي يضطهد المسلمين ولا يسمح بوجود غير مسيحيين، هذا التناقض في الاعتبار بين الطرفين كان أساس المشكلة بينهما نفسيًا ودينيًا.[١٦]

أما عن **الأسباب الاقتصادية** التي كانت سببًا في الصراع بين المسلمين والنصارى فقد تلخصت في كون الموريسكيين يشعرون بأسبانيتهم، ولكن بالرغم من ذلك فهم نتاج أمة مجيدة تظهر محاسنها في العمل والثروة الاقتصادية التي كونتها بفضل ذلك العمل، مما أدى إلى ظهورهم الاقتصادي القوى في أسبانيا على حساب الكسل الأسباني الذي تجلى في العنصر النصراني العنيف، ولكن الملكية الأسبانية ضحت بكل هذه الثروة الاقتصادية والنشاط الموفور والقوة الاقتصادية لعنصر من عناصر رعاياها – الموريسكيين- مقابل الوحدة الدينية التي يسعى الأسبان من أجلها، لأن تلك الثروة بالنسبة إلى هذا الغرض ليست شيئًا يساوى أمام الشرف الأسباني المؤسس على تلك الوحدة الدينية التي يهدفون إليها، وبذلك اعتبر الوجود الديني الموريسكي الاقتصادي شيئًا ينتمي إلى العصور الوسطى، ويجب التخلص منه لأن وجودهم أمرًا يخالف تسلسل التاريخ حسب وجهة النظر النصرانية الأسبانية.[١٧]

كل تلك الأسباب كانت أسباب بعيدة وغير مباشرة لثورة الموريسكيين الأولى، بل كانت أسباب متراكمة على بعضها حتى يأتي السبب المباشر للثورة، أو القشة التي تقصم ظهر البعير، ألا وهو السبب المباشر للثورة الذي سنورده في المبحث التالي.

(٣) أسباب مباشرة للثورة:

بدأ الكاردينال خمنيس في إتباع سياسة ملاحقة العائلات الموريسكية الكبيرة في غرناطة والقبض على الكثير من الرجال والنساء والزج بهم في السجن، وكان من رجاله مفوض يدعى "باريونويفو"، وكان هذا المفوض لا يختلف عن سيده في فظاظة القلب والفعل حين أساء معاملة المسلمين الذين كرهوه كما كرهوا سيده، وفى يوم من الأيام دخل هذا المفوض حي البيازين في ١٤٩٩م، وقام بالقبض على إحدى النساء المسلمات، كانت هذه السيدة ابنة رجل اعتنق الإسلام، وأيضًا تزوجت من رجل مسلم وأنجبت منه، قام المفوض وطرق الباب وقبض على السيدة وأولادها وبدأ في أخذها إلى السجن بالقوة، فتجمع الناس حول هذا المشهد القاسي عندما استغاثت هذه المرأة وهي في طريقها إلى السجن طالبة من إخوانها حمايتها من ذلك الاعتداء، وتدخل المسلمون محاولين حمل المفوض على تركها هي وأولادها، ولكن المفوض وأتباعه ردوا ردًا عنيفًا، وحدثت مشادة بين أحد المسلمين والمفوض الذي قتل على إثر هجوم هذا المسلم عليه، وهرب أتباع المفوض وسرت الاضطرابات في الحي وأستغل المسلمين هذا الموقف لتفريغ كل ما يحملوه من كره إلى الأسبان.[١٨]

انطلق الناس يطالبون بحمل السلاح من أجل الحفاظ على امتيازاتهم ودينهم ووجودهم، وقاموا باحتلال أبراج حي البيازين وقصابته وأقاموا المتاريس، وقبل أن يعلم القائد العام العسكري "تنديلة" بالأمر وما حدث في حي البيازين، كان المسلمون قد سيطروا على حيهم وجهزوه للدفاع المتوقع من جانب الأسبان، وبدأت أحداث الثورة الموريسكية الأولى من داخل حي البيازين.* ويمكن القول؛ أن تاريخ هذه الثورة قد يعنى من وجهة النظر الاسبانية بداية التفكير في أساليب مقاومة الوجود الموريسكي المتأصل في البلاد، وبداية إقرار السياسة التي سوف تتبع حتى طرد هذا العنصر القوى من داخل البلاد الاسبانية.[١٩]

ثانيًا: أحداث الثورة الموريسكية الأولى (أحداث سنة ١٤٩٩م)

اجمع أهل البيازين على ضرورة الدفاع عن الحي والتصدي إلى تلك السياسة التي يسير عليها خمنيس تجاههم وتجاه المسلمين جميعًا في الأندلس، فقام زعماء غرناطة وعلماؤها في حي البيازين بحث الناس على ضرورة حمل السلاح، وبدأوا يفكرون في كيفية التصرف، فوقع رأيهم على ضرورة التخلص من خمنيس نفسه الذي دفعتهم أفعاله إلى الثورة وذلك عن طريق توجه فريق من الثائرين إلى قصر الحمراء، حيث يسكن لمحاولة القضاء عليه ومَنْ معه، بينما يبقى مَنْ بقى منهم في الحي لأجل تحصين الحي والاستعداد لأي مواجهة بينهم وبين الأسبان.[٢٠] ومن جانبه قام خمنيس بجمع قواده عندما علم بالثورة التي قام بها أهل البيازين، وأرسل بطلب الكونت تنديلة الحاكم العسكري العام ومَنْ معه من الجنود، ولكن الثوار وصلوا إلى القصر قبل مجيء الكونت الذي جاء متأخرًا فوجد الثوار قد أحاطوا بالقصر واستعدوا إلى اقتحامه ومحاولة وقتل خمنيس، وهنا قام الكونت باستعمال دبلوماسيته تجاه الثوار عندما طلب منهم العودة إلى الحي ووعدهم بالنظر في مظالمهم، وظل الكونت في سياسته حتى اقتنع الثوار بالعودة بانتظار وفاء الكونت بوعده تجاههم بعد مفاوضاته مع الكاردينال خمنيس.[٢١]

وبالرغم من أن الثوار عادوا إلى الحي، إلا أنهم لم تفتر عزيمتهم في حمل السلاح وضرورة المقاومة وخاصةً بعدما عانوا من جور الكاردينال الكثير، بل والأكثر من ذلك أنهم شعروا أن الإمبراطورية الاسبانية التي تتحكم فيهم بدأت تسلك مسلكًا يمكن أن يؤدى بها إلى الانهيار إذا استمرت على تلك السياسة، وهذا أحدهم يقول: "أنا لا تهمني الإمبراطورية الاسبانية الممتدة، لأن الدول عندما تصل إلى نقطة القوة والعظمة فمن المحتم أن تهدمها الرشوة والشهوة والملذات التي تصاحب الرفاهية، وبصرف النظر عن هذا فنحن

دورية إلكترونية .مُحكّمة .ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

لسنا عصابة لصوص بل مملكة، إن اسبانيا ليس أقل مرضًا من روما".[٢٢]

ويتضح من كلام الثائر الموريسكى مدى إيمانه بقضيته، ومدى عزيمته على تحقيق النص، وحتى إذا لم يتحقق هذا النصر، فيكفى أنه يعلم أن أسباب انهيار القوة هي الرشوة والشهوة وسنجد هذا في عهد الإمبراطور شارلمان ومدى ظهور هذه الأمراض على الإمبراطورية الاسبانية من بعد، ذلك السبب الذي سيؤدى إلى انهيار هذه الإمبراطورية في عهد خلفه فيليب الثاني (١٥٥٦- ١٥٩٨م)، ولكن بالرغم من هذه العزيمة الموريسكية القوية إلا أن الأسبان قابلوها بحزم وشدة وعنف.

حاول الثوار استغلال فترة المفاوضات بين الكونت والكاردينال في الكتابة إلى إخوانهم في العالم الإسلامي لمؤازرتهم في ثورتهم ومحنتهم في ظل العهد الاسباني، فكتبوا إلى الملك الظاهر قنصوه الغوري سلطان مصر المملوكية للاستغاثة به من أفعال الأسبان، فكتب السلطان إلى الملكين الكاثوليكيين يهددهما بضرورة معاملة المسلمين معاملة حسنة وإلا سينتقم من المسيحيين الموجودين في بلاده، فأرسل الملكان إيزابيلا وفرناندو مرشد كاتدرائية غرناطة "بطرس مارتير" الذي استطاع أن يقنع السلطان المملوكي بأن المسلمين في اسبانيا يلاقون أحسن معاملة، وضاعت محاولات الموريسكيين في الاستنجاد بالعالم الإسلامي.[٢٣]

وعن أحداث هذه الثورة يقول المقري: "ثم أن النصارى نكثوا العهود ونقضوا الشروط عروة عروة إلى أن آل الحال لحملهم المسلمين على التنصر سنة أربع وتسعمائة بعد أمور وأسباب أعظمها وأقواها عليهم أنهم قالوا: إن القسيسين كتبوا على جميع مَنْ كان أسلم من النصارى أن يرجعوا قهرًا إلى الكفر، ففعلوا ذلك، وتكلم الناس ولا جهد ولا قوة"، ويضيف المقري: "ولما فحش هذا الأمر قام أهل البيازين على الحكام وقتلوهم وهذا كان السبب للنصر، وبالجملة فإنهم تنصروا عن آخرهم بادية وحاضرة".[٢٤]

وبعد أن عاد الثوار إلى الحي، تم تأمين الكونت تنديلة للقصر، وهنا يظهر دور المطران هرنا ندو طلبيرة مع الكونت تنديلة في ضرورة أخذ الموقف بالعقلانية والهدوء، وانطلق الاثنان مع عدد قليل من الجنود واخترقا جموع الموريسكيين في حي البيازين، وقام الكونت برفع قبعته دليلاً على أنه جاء من أجل السلم وليس إلى الحرب.[٢٥] دخل طلبيرة والذي وصفه صاحب "أخبار العصر في انقضاء دولة بني نصر" بالوداعة حي البيازين بدون سلاح، وقام هو والكونت وسألا القوم عن شكواهم وخففا من روعهم منعًا للدماء، ولكن الكاردينال خمنيس لم يصمت على أفعالهم التي يرفضها، بل أوعز إلى الملكة إيزابيلا لتصدر أمرها بإكراه المسلمين على أحد الأمرين، إما الجلاء عن البلاد والرحيل وإما قبول الدخول في النصرانية، وتم إغلاق المساجد من جديد وتكررت عمليات حرق الكتب أكثر من مرة، وتجددت رغبة الثوار في استكمال مراحل ثورتهم.[٢٦]

يتضح من ذلك؛ أن الكاردينال لم يكن بالرجل الذي يتخلى عن قراراته بسرعة، وأيضًا يتضح أن الملكان قد أيدا حركاته بكل ثقة وخاصةً بعد جلسة اشبيلية في ١٤٩٩م التي عقدها الكاردينال معهما، وخلالها أكد الملكان ثقتهما في خمنيس، مما جعل كل من "تنديلة طلبيرة" أمام قرار الملكان أن يغيرا موقفهما الهادئ والدبلوماسي تجاه الموريسكيين لعدم الاصطدام بالملكة، وعاد الرجلان مرة أخرى إلى أهل البيازين يخبروهم بما حدث في جلسة اشبيلية، فاشتعلت الثورة من جديد.[٢٧] وقد انتشرت أنباء اشتعال الثورة من جديد في سكان غرناطة وجبال البشرة التي يتحصن بها باقي الثوار، فاستغلت باقي المدن هذا الموقف وانضمت إلى الثورة بجانب ثوار البيازين، فقامت الملكة بإرسال أول جيش إلى الثوار بقيادة "الكونت تنديلة"، والقائد "غونثالو القرطبي"، وهو أحد مَنْ شاركوا في مفاوضات التسليم في ١٤٩٢م، وكلفتهما بضرورة القضاء على الثورة قبل استفحال أمرها، وتحرك القرطبي حتى وصل إلى مدينة "وجار ""guejar إحدى المدن الثائرة، ولكنه وقع في كمين صنعه الموريسكيين وهو عبارة عن خندق حفروه أمام أبواب المدينة، فتراجع القرطبي وقام بحصار المدينة التي لم تلبث أن استسلمت تحت وطأة الحصار، وحاول التقدم إلى مدن أخرى ولكنه لم يستطع لقوة ووعورة المناطق التي يغلب عليها الطابع الجبلي، وهو أيضًا ما صعب من مهمة الكونت تنديلة، فطلب كل منهما من الملك فرناندو المساعدة، فتولى الملك المهمة بنفسه مع بداية سنة ١٥٠٠م.[٢٨]

دخلت سنة ١٥٠٠م ومعها الكثير من النجاح للثائرين الذين نجحوا في الاستيلاء على ثلاث حصون على البحر الأبيض المتوسط، وهي: "أدرا، وكاستل فيروه، وبوتيول" وأصبحوا على مقربة من "المرية"، فقامت قوة اسبانية قوامها حوالي ٥٠٠٠ رجل إلى بلدة "مارشينا" الواقعة على الطريق بين المدن السابقة ومدينة "المرية" حتى لا يستطيع الثوار الاستيلاء عليها فيكن ذلك انتصارًا كبيرًا للثوار، ولكن لم يكن للحاكم العسكري العام القوات الكافية لمواجهة الثوار في كل تلك المناطق، فبعث مرة أخرى إلى الملك فرناندو الذي عقد جيشًا كبيرًا أعطى ولايته إلى القائد الدون "الو نزو دى اغويلار".[٢٩]

وقد أمر الملك قائد جيشه بضرورة الضغط على الثوار الذين يسكنون المدن الثائرة حتى يحملهم على ترك بلادهم، وأمره أيضًا أن يترك مَنْ يريد اعتناق النصرانية منهم هو وشأنه، وحرك مع قائده الدون اغويلار أحد مساعديه وهو الكونت "سيفونتى" لضرب الثوار وخاصةً من تمتد ثورتهم باتجاه مملكة قشتالة.[٣٠] اتجه الدون اغويلار لمحاولة القضاء على الثورة وخاصةً في منطقة "الجبل الأحمر" التي انتشرت فيها أنباء الثورة فأدت إلى هياج أهلها بقوة ضد الأسبان واحتمى بها الكثير من الثوار، فاتجه الدون إليها محاولاً إخضاعها، ولكن وجد مقاوم شرسة من قبل الموريسكيين الثائرين فيها وعلى رأسهم القائد الموريسكى الشجاع "الفهرى بن الاصطبار"

دورية إلكترونية .مُحكّمة .ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

الذي تحصن بالمنطقة، وقد استطاع هذا القائد أن يهزم قوات الدون في بداية المقاومة عندما سد شعاب الجبل الأحمر ومرتفعاته ووضع في أعلى هذه المرتفعات الصخور التي أمر بدحرجتها على الأسبان فأنزلت بهم خسائر شديدة.[٣١]

ومنذ بداية المقاومة شعر الدون اغويلار بصعوبة الأمر عندما سأله مساعده الكونت سيفونتى فرد عليه الدون قائلاً: "هذه معركة غير ناجحة وقد أعطيت رأيي من قبل بصعوبتها ولن أغيره، ولكن ما دام هؤلاء المغاربة بقبضتنا فلا يجب أن نظهر لهم أي ضعف مما يزيد من شجاعتهم ويأسنا، وظل الدون في موقفه والخسائر التي تلاحق به حتى ظل مع مائتي فارس فقط يواجه بهم الموريسكيين الثوار الذين يحاربونه من جميع الجهات فيتساقط رجاله بكثرة وكأنهم فريسة وقع عليها من يطاردها، إلى أن جاء دور الدون نفسه والذي تطايرت دروعه وتمزقت أطراف جسده حتى تراجع بين صخرتين، فعندئذ برز له القائد الموريسكى "الفهرى" وقام بضربه ضربة قوية على رأسه، وانتهى هذا المشهد بمقتل الدون اغويلار الذي يعتبر من أقوى القواد الأسبان في ذلك الوقت، وأنشد الأسبان في مقتله القصائد.[٣٢]

لم تكن الثورة في البيازين والجبل الأحمر فقط، بل انتشرت الثورة إلى مدن أخرى مع تطور الأحداث أمثال اندرش والتي قام فيها حاكمها الاسباني بنسف مسجدها بالبارود فشارك أهلها في الثورة، وأيضًا قامت الثورة في مدن "نيخار، وجونجار"، ومدن أخرى قرر الموريسكيين الدفاع عن أنفسهم ودينهم ولكنهم كانوا عزلاً، فشد عليهم الأسبان الوطأة التي مزقتهم بلا رحمة وأكثروا فيهم القتل حتى اضطر أهالي بعض المدن إلى الاستسلام، بل تحول الكثير منهم إلى النصرانية حتى يخرجوا من تحت هذه الوطأة القاسية، وعندها بدأت الثورة في طريقها إلى الانهيار شيئًا فشيئًا.[٣٣] وقد جاءت نهاية هذه الثورة على يد الملك فرناندو الذي جهز جيشًا بنفسه بعدما جاءه خبر مقتل الدون اغويلار، فتحرك لإخماد الثورة وسار بجيشه عبر الجبل الأحمر ورغم أن قواته منيت بعدة خسائر، إلا أنه استطاع محاصرة أهل الجبل الأحمر وحمل الناس على الجوع، فأدى ذلك إلى أن يعرض هؤلاء المحاصرون التسليم، فقبل الملك العرض بسرعة بسبب ما يلاقيه من صعوبة في إخماد هذه الثورة التي أجهدت جيشه.[٣٤]

توجه بعدها الملك في (٨٠) ألف رجل من جيشه مع جيش آخر في "المرية" جعل قيادته لزوج ابنته غير الشرعية والذي يدعى "دوليرين"، ووضع الاثنان خطة لاسترداد المناطق الثائرة وإخماد الثورة فيها، وتم تنفيذ الخطة التي سارت في طريقين، طريق قاده الملك إلى مدن "اندرش"، "ولانخارون" والتي استطاع الملك القضاء على ثوراتهما عن طريق سلكه لبعض الدروب الملتوية التي لم يتوقع الثوار مجيء الملك منها، بينما اتجه الجيش الآخر الذي يقوده زوج ابنته إلى المرية والجهة الشرقية منها، حتى تم التقاء الجيشين في عند حصون "اندرش"، "ولانخارون" وما يليها من الحصون واستطاعا فتحها والقضاء على الثورات فيها، مما اضطر الموريسكيين إلى المفاوضات في نهاية الأمر مقابل تسليم بعض الرهائن والأسلحة والقلاع، وسارت باقي المدن الثائرة على نفس النهج نظرًا لما لاقوه من عسف الأسبان حتى استسلم الموريسكيين في جميع وجوه مدينة غرناطة وباقي المدن الثائرة وأحياءها، حتى حي البيازين الذي دمر الأسبان مسجده وحولوه إلى كنيسة، وعاد الملك إلى اشبيلية بعدما نجح في القضاء على ثورة الموريسكيين الأولى وذلك في سنة ١٥٠١م، وعاد ليجد الملكة قد جهزت قرارًا بتنصير المسلمين قسرًا نتيجة ثورتهم.[٣٥]

ثالثا: أبرز نتائج الثورة الموريسكية الأولى

وكان من أبرز نتائج هذه الثورة القوية أن استغلت الملكة إيزابيلا توقف العمليات العسكرية بعد قضاء الملك على الثوار وإحكام قبضته عليهم، فقامت بإصدار مرسوم ١٥٠٢م رغبة منها في إضفاء صفتها الرسمية على الانتصارات الاسبانية على الثوار، وقد خير هذا المرسوم الموريسكيين بين التنصر والرحيل، ونص أيضًا على أن من الضروري على أهل قشتالة طرد "أعداء الدين المسيحي" من مملكتي قشتالة وليون، ويتحتم على جميع الموريسكيين الذين لم يتم تنصيرهم في هاتين المملكتين الرحيل فلا يبقى رجل فوق سن الرابعة عشر، ولا أنثى فوق سن الثانية عشر إلا تنصروا، ونص المرسوم أيضًا على السماح لمَنْ يرغب من الموريسكيين في بيع عقاراتهم وأملاكهم، ولكن حظر عليهم إخراج الذهب والفضة من أماكن توطنهم، ولأجل تنفيذ هذا المرسوم وظفت السلطة جميع رجالها في مملكة غرناطة للتأكد من تنفيذ هذا المرسوم بكل دقة، وبنهاية الفترة التي حددها المرسوم لهجرة الموريسكيين وهو نفس العام الذي صدر فيه المرسوم، رحل عن الأندلس حوالي ٣٠٠ ألف موريسكى تفرقوا في بلاد المغرب ومصر والشام.[٣٦]

وقد أضيف إلى هذه الأعداد أعدادًا أخرى هاجرت إلى العدوة المغربية بعد اتفاقًا عقده الكثير من الثوار الموريسكيين مع الملك في مرحلة تصفية الثورة نتيجة حصار الملك لهم، ونص هذا الاتفاق على التسليم مقابل مساعدة الملك لهم في العبور إلى العدوة المغربية، وقد رحل الكثير منهم بموجب هذا الإنفاق وأصبح الباقين في اسبانيا نصارى بموجب مرسوم إيزابيلا السابق.[٣٧] ومن نتائجها أيضًا أن الملكان لم يكتفيا بالمرسوم السابق، بل قاما ببعض الإجراءات الأخرى في أعقاب انتهاء الثورة ومنها تشريع ملكي تم إصداره يلزم الموريسكيين بالسكن في أحياء خاصة بهم على نحو ما كان متبع مع اليهود في العصور الوسطى، وقد نفذ هذا التشريع في غرناطة قبل أي منطقة أخرى عقب إصدار التشريع مباشرة، وتم إفراد حيان للموريسكيين أحدهما يضم حوالي (٥٠٠) منزل وهو عبارة عن حي صغير داخل غرناطة، أما الحي الثاني فيضم نحو خمسة آلاف منزل ويشمل ضاحية البيازين وحيها، وقد تسمت هذه الأحياء تحت مسمى "موريريا Morreria" وتعنى "أحياء

دورية إلكترونية .مُحكّمة .ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

الموريسكيين"، وقد كان مَنْ تبقى في اسبانيا منهم حوالي (٤٠) ألف موريسكي.[٣٨]

أما عن آخر نتائج الثورة الأولى للموريسكيين فهي تكرار عمليات التنصير لهم بعد ذلك بشكل مستمر، وظهرت نتائج هذه العمليات التنصيرية في أوائل القرن السادس عشر في العشر أعوام الأولى منه في مملكتي أرغون قشتالة، فكان تكرار هذه العمليات في أرغون السبب في قيام أهل فالنسيا بعدة حركات ضد سياسة الأسبان التي لم تتغير، ولم تقتصر هذه السياسة على التنصير، بل قامت السلطة بتشجيع الأسبان الإقطاعيين ماديًا واقتصاديًا على حساب العمالة الموريسكية على مدى عامي (١٥٢١-١٥٢٢م)، وقد عرفت حركات أهل فالنسيا بـ"حروب الجماعات".[٣٩]

خاتِمَة

وهكذا؛ انتهت الثورة الأولى للموريسكيين التي ظلت من سنة ١٤٩٩م وحتى سنة ١٥٠١م، وقد استمرت نتائجها إلى مدى أبعد من أحداثها، وعلى الرغم من ذلك الدفاع الذي أظهره الموريسكيين ضد الأسبان بقوة، إلا أن الأسبان خرجوا من تلك الثورة لتحقيق هدف أغلى بالنسبة إليهم، ألا وهو ضرورة التخلص من ذلك العنصر المخالف لهم، وأيضًا لم يستسلم الموريسكيين لمصيرهم القاسي هذا، ولكن يمكن القول بأن العلاقة بين الموريسكيين والأسبان دخلت مرحلة جديدة من الصراع تختلف تمامًا عن العلاقة التي ظهرت مع بدايات الحكم الأسباني، فقد كان الموريسكيون في المراحل السابقة حديثي العهد بالحكم والطابع الأسباني ومازالوا متأثرين بالحكم الإسلامي الذي سقطت آخر حباته مع سقوط غرناطة، لذلك لم يكونوا يملكوا خبرة التعامل مع الأسبان. أما بعد هذه الثورة الأولى لهم ضد الطرف الآخر، فقد عرفوا كيفية التعامل مع حكامهم الجدد وأصبحوا على اقتناع بأن الحكم الإسلامي قد ولى، وأن من واجبهم حماية أنفسهم من نوايا الأسبان وأفعالهم، وتظهر في نفس العام وهو ١٥٠١م ثورات أخرى مثل ثورة ألمرية التي قامت نتيجة سياسية الأسبان في تنصير الموريسكيين بالقهر والإجبار، وثورة قرى وادي المنصورة التي وقعت في نفس العام أيضًا، ولكن تمكن الحاكم الأسباني من قمعها بسهولة، وثورة منطقة أدرا وغيرها من الثورات الصغيرة والتي وإن كانت قليلة الأثر والتأثير في الوجود الأسباني، إلا أنها كانت شاهدًا كبيرًا على تغير العلاقة بين الموريسكيين والأسبان، تلك العلاقة التي ستكون السمة السائدة للفترة التاريخية اللاحقة التي ستمتد من ١٥٠١م وحتى طرد الأسبان للموريسكيين مع بدايات القرن السابع عشر الميلادي وتحديدًا في سنة ١٦٠٩م.

الملاحق

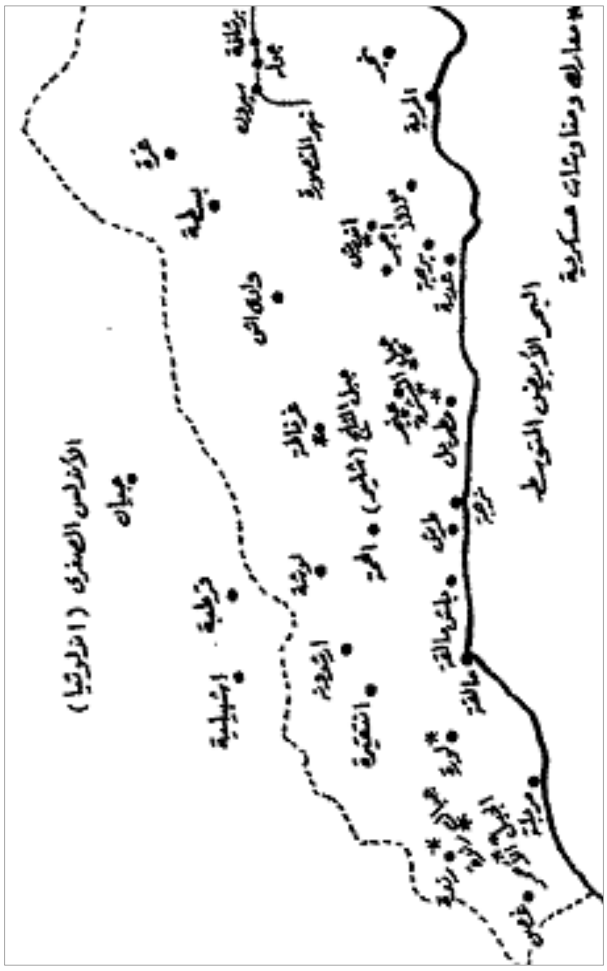

خريطة رقم (١)
أهم المناطق التي شهدت اندلاع الثورة الموريسكية الأولى

دورية إلكترونية .مُحكّمة .ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

الهَوامِشُ:

(١) عادل سعيد بشتاوي: الأندلسيون المواركة، القاهرة ، ٢٠٠١م ، ص ١٠٦.

(٢) واشنطن ايرفنغ: "**أخبار سقوط غرناطة**"، ترجمة: هاني يحيي نصري، دار الانتشار العربي للطبع والنشر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠، ص ٣٥٨.

(٣) شكيب ارسلان: "**خلاصة تاريخ الأندلس إلى سقوط غرناطة**"، مطبعة المنار، مصر، ١٣٤٣، ١٩٢٥، ص ٣٠٥.

(٤) بطرس البستاني: "**معارك العرب في الأندلس**"، دار مارون للطبع والنشر، ١٩٨٧، ص ١٥١.

(*) يذكر أن الملوك الأسبان كانوا يحصلون على ألقاب جديدة بعد استيلاء أحد منهم على إحدى مدن الأندلس مثلما فعل الفونس السادس بعد استيلائه على مدينة طليطلة في (٤٧٨هـ/١٠٨٥م)، فإنه لقب نفسه "بالإمبراطور"، وأيضًا "بذي السيادة على الملتين" أي النصرانية والإسلام، وكذلك لقب الملكان فرناندو وإيزابيلا أنفسهما "بالملكان الكاثوليكيان"، للمزيد راجع: هاشم عبد الرؤوف: **رسالة ووصية من القرن الخامس إلى القرن الخامس عشر الهجري**، ص ٧٨، مؤسسة الرسالة للطبع والنشر، الطبعة الأولى، ١٩٩٤.

(٥) عادل سعيد بشتاوى: مرجع سابق، ص ١١٠.

(٦) مونتغمرى وات: "**في تاريخ اسبانيا الإسلامية**"، ترجمة: محمد رضا المصري، شركة المطبوعات للطبع، الطبعة الثانية، ١٩٩٨، ص ١٦٢،١٦٣.

(٧) محمد عبد الله عنان: **نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين**، الهيئة المصرية للكتاب، ٢٠٠١، ص ٣١٥.

(٨) ميكيل دى ايبالثا: "**الموريسكيون في اسبانيا وفى المنفى**"، ترجمة جمال عبد الرحمن، المجلس الأعلى للثقافة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥، ص ١١٣.

(*) **ميدان الرملة**: هو أعظم ميادين مدن غرناطة، كانت تقام فيه الحفلات العامة كالفروسية وغيرها، يقع قرب شارع الملكيين الكاثوليكيين ومنه تتفرع عدة شوارع ما تزال تحمل أسماء عربية منها "شارع أبى عبد الله وشارع الفنادق". للمزيد: يوسف شكري فرحات :"**غرناطة في ظل بني الأحمر: دراسة حضارية**"، دار الجيل للطبع والنشر، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٩٣. ص ١٨١.

(٩) محمد عبد الله عنان: مرجع سابق، ص ٣١٦.

(١٠) محمد عبد الله عنان: مرجع سابق، ص ٣٢٠.

(١١) عبد الحكيم الذنون: "**آفاق غرناطة**"، دار المعرفة للطبع والنشر، الطبعة الأولى،١٩٨٨، ص ٦٧.

(١٢) فرانسيسكو بيانوبيا: "**القضية الموريسكية من وجهة نظر أخرى**"، ترجمة: عائشة محمود سويلم، المجلس الأعلى للثقافة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥، ص١٣٨.

(١٣) ميكيل دى ايبالثا: مرجع سابق، ص ١١٧.

(١٤) أميريكو كاسترو: "**حضارة الإسلام في الأندلس**"، ترجمة سليمان العطار، الدار الثقافية للنشر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢، ص ٢٣.

(١٥) أميريكو كاسترو: المرجع السابق، ص ٢٧.

(١٦) ميكيل دى ايبالثا: مرجع سابق، ص ٧١.

(١٧) أميريكو كاسترو: مرجع سابق، ص ٢٥.

(١٨) أسعد حومد: "**محنة العرب في الأندلس**"، المؤسسة العربية للطبع والنشر، الطبعة الثانية، ١٩٨٨، ص ٢٧٠.

(*) يقع حي البيازين شمال شرقي مدينة غرناطة على هضبة مجاورة لها، يمتد هذا الحي في الارتفاع حتى يصل إلى الأسوار القديمة للمدينة، يفصل بينه وبين هضبة الحمراء وادي نهر "الدارو"، وهو من أكثر أحياء غرناطة اشتهارًا بالطابع العربي التي ما تزال بعض المناطق فيه تتسم بالعمارة العربية حتى الآن، تم تسميته بهذا الاسم حسب روايتين، أولهما هي نسبة إلى لاجئي مدينة "بايسة" عندما هاجروا مدينتهم بعد استيلاء الأسبان عليها في ١٢٢٧م إلى ذلك الحي الذي تلقب باسمهم بعد أن استقروا فيه، أما الرواية الأخرى ترجع تسميته بهذا الاسم نسبة إلى أحد أسواق هذا الحي الذي اشتهر بتجارة طيور الباز، أما عن بيوت الحي فهي ضيقة وصغيرة الحجم، يبلغ عدد المساجد فيه حوالي (٣٠) مسجدًا ويتمتع هذا الحي بكثافة سكانية عالية نتيجة الهجرات المتتالية عليه من المدن المجاورة إليه كلما استطاع الأسبان الاستيلاء على تلك المدن حتى بلغ عدد المهاجرين إليه حوالي (٣٠) ألف مهاجر، يضاف إلي ذلك العدد من المهاجرين عدد سكان حي البيازين الأصليين الذين كانوا أساس الثورة مع مَنْ ساعدهم من المهاجرين، ويعتبر الحي من أهم أحياء غرناطة وتظهر هذه الأهمية منذ أيام عهد بني الأحمر، حيث كانت الأحياء لمجاورة له من الجنوب مركزًا لمقر حكومات بني الأحمر آخر سلاطين الأندلس، ومن أشهر تلك المقرات الحكومية القصبة القديمة والقصبة الجديدة. للمزيد انظر: صالح السنيدى: بحث بعنوان "**المساجد في غرناطة**"، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد (٢١) الصادر في المحرم ١٤١٩"، ص ٤٢١، بطرس البستاني: مرجع سابق، ص ١٧٥.

(١٩) أسعد حومد : محنة العرب في الأندلس، ص ٢٧١.

(٢٠) عادل سعيد بشتاوى: مرجع سابق، ص ١١٤.

(٢١) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

(٢٢) اميريكو كاسترو: مرجع سابق، ص ٢٠٦.

(٢٣) بطرس البستاني: مرجع سابق، ص ١٥١.

(٢٤) المقري: "**نفخ الطيب في غصن الأندلس الرطيب**"، تحقيق: إحسان عباس، ج٤، دار صادر للطبع والنشر، بيروت، ١٩٦٨، ص ٥٢٧.

(٢٥) عادل سعيد بشتاوي : الأندلسيون المواركة ، ص ١١٤.

(٢٦) مجهول "**أخبار العصر في انقضاء دولة بني نصر**"، مطبعة المنار، مصر، ١٩٢٥، ص ٣٥١.

(٢٧) عادل سعيد بشتاوى: مرجع سابق، ص ١١٥.

(٢٨) عادل سعيد بشتاوي : المرجع السابق ، ص ١١٦.

(٢٩) أسعد حومد: مرجع سابق، ص ٢٧٥.

(٣٠) واشنطن ايرفنغ: أخبرا سقوط غرناطة ، ص ٤٢١.

(٣١) واشنطن ايرفنغ : مرجع سابق، ص ٤٢٢.

(٣٢) واشنطن ايرفنغ : مرجع السابق، ص ٤٢٤.

(٣٣) محمد عبد الله عنان: مرجع سابق، ص ٣٢٣.

(٣٤) عادل سعيد بشتاوى: مرجع سابق، ص ١١٧.

(٣٥) أسعد حومد: مرجع سابق، ص ٢٧٧.

(٣٦) عادل سعيد بشتاوى: مرجع سابق، ص ١١٩.

(٣٧) عادل سعيد بشتاوي : مرجع سابق: ص ١١٨.

(٣٨) محمد عبد الله عنان: مرجع سابق، ص ٣٢٦.

(٣٩) ميكيل دى ايبالثا: مرجع سابق، ص ٧١.

دورية إلكترونية .مُحكّمة .ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449